

الوضع المحلي والدولي في رواية سقوط سبرطة أو حب في موسكو لبرهان الخطيب

م.م. مروج حسين محمد

الجامعة العراقية

The Local and International Situation in the Novel The Fall of Sparta or Love

in Moscow by Burhan Al-Khatib □

M.M.Morooj Hussain Mohammed□

University of Iraq□

Morooj.h.mohammed@aliraqia.edu.iq□

المخلص:

من المعروف أن الرواية العربية المعاصرة لها علاقة بالحدث السياسي ، فهي تعبر عن الإضطراب السياسي الأبرز الذي تعيشه الدول العربية منذ عقود ، وهي أحد الأشكال الأدبية التي تعكس الواقع السياسي والإجتماعي ، وتتناول قضايا الحكم ، السلطة ، الحرية ، الفساد ، الثورة ، فضلاً عن الصراعات الأيديولوجية .وبما أن الرواية من أصدق الفنون ارتباطاً بالواقع فإنها لا يمكن أن تتجاهل ما يحدث في العالم العربي من أحداث بدايةً من الإستعمار ثم الإستقلال وما صاحبه من صراع على السلطة انتهى بانقلابات وحروب أهلية وما رافق ذلك من تشييد لدكتاتوريات شمولية جسدت فكرة الإستبداد والفساد وقمع للحريات ، وقد كان لسقوط بغداد وما أفرزته من جدال حول الطائفية والقومية وطبيعة نظام الحكم والديمقراطية والتدخل الأجنبي الأمر الذي أدى إلى انخراط الروائي في مناقشته ذلك شأنه شأن المفكر والإعلامي والأكاديمي رغم أنه يرصد الحدث والراهن والتاريخ بوجهة نظر فنية سردية ، والسرد يكون ذا معنى مادام يصور ملامح التجربة الإنسانية . الكلمات المفتاحية : الرواية السياسية ، تعريفها ، الوضع في رواية سقوط سبرطة.

Summary :

It is well known that the contemporary Arabic novel is closely linked to political events. It reflects the major political turmoil that Arab countries have been experiencing for decades. As one of the literary forms that mirrors political and social realities, the novel addresses issues such as governance, authority, freedom, corruption, revolution, and ideological conflicts. Since the novel is one of the most truthful forms of art connected to reality, it cannot ignore the events occurring in the Arab world—from colonization to independence and the ensuing power struggles, which have often ended in coups and civil wars. These developments have led to the rise of totalitarian dictatorships that embody oppression, corruption, and the suppression of freedoms. The fall of Baghdad, in particular, sparked debates around sectarianism, nationalism, the nature of governance, democracy, and foreign intervention. Consequently, novelists became involved in these discussions, much like intellectuals, journalists, and academics, though they engage with events, the present, and history from an artistic and narrative perspective. Narrative remains meaningful as long as it portrays aspects of the human experience Keywords: Political novel, its definition, the situation in the novel The Fall of Sparta.

المقدمة

يتناول البحث مقدمة شاملة عن الرواية السياسية ودورها المهم في التغيير السياسي والإجتماعي والتعبير عن طموح المجتمع وأزماته ورسم طرق الخلاص من خلال رصد التأثير المتبادل بين الأفكار والأحداث السياسية .ويسعى البحث بشكل خاص إلى تسليط الضوء على الدور الحيوي والمهم الذي لعبته الرواية السياسية في محاولة البحث عن الهوية الثقافية للأمة العربية ، مما يعكس بوضوح وشفافية مدى تأثير هذا النوع من الروايات على جميع جوانب الحياة السياسية والثقافية فضلاً عن القيم الإجتماعية التي كانت تشكل جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية .ولأهمية هذا النوع من

الروايات نلاحظ أن الكاتب برهان الخطيب يظهر من خلال روايته (سقوط سبرطة أو حب في موسكو) الوضع العراقي كخلفية مؤثرة في حياة الشخصيات العربية وخاصة بطل الرواية (خالد) الذي يمثل نموذجاً للمثقف العربي المغترب في الإتحاد السوفيتي خلال فترة الحرب الباردة .
ركّز البحث على تناول الموضوعات التالية :

١-التعريف بالرواية السياسية .

- الرواية السياسية عند الغرب.

- الرواية السياسية عند العرب .

٢-الوضع المحلي والدولي في رواية (سقوط سبرطة أو حب في موسكو).

١-التعريف بالرواية السياسية :سعى النقاد إلى الكشف عن العلاقة بين الرواية والسياسة ووجدوا أنها طبيعية ومنطقية لأن الطرفين (الرواية والسياسة) يهتمان بحياة الإنسان ، فالروائي يعبر عن حياة الإنسان مع نواحٍ عديدة ، وقد يركز على تجسيد رؤية سياسية ، فيكتب في رواية سياسية ، والرواية السياسية هي التي تهتم بمناقشة الأفكار السياسية دون أن تهمل خصائصها الفنية ، ويتمثل دورها في الدفاع عن حقوق الإنسان وحرية الشعب ، مما يمكن أن يسهم في التغيير يعتبر الدكتور طه وادي من النقاد الذين دققوا مفهوم الرواية السياسية حيث يعتبر أن الرواية السياسية هي " الرواية التي تمثل القضايا والموضوعات السياسية فيها الدور الغالب بشكل صريح أو رمزي . وكاتب الرواية السياسية ليس منتمياً بالضرورة إلى حزب من الأحزاب السياسية ، لكنه (صاحب إيديولوجيا) يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني " (طه وادي : الرواية السياسية ، ١٠٠) ويرى الدكتور سعيد علوش أنها " نزعة روائية تقوم على اطروحة الدعوة إلى أفكار سياسية معينة وتنفيذ غيرها ، مما يفسح المجال أكثر لحوارات تتخذ شكل مجادلات سياسية على حساب التقليل من أهمية العناصر السردية الأخرى " كما أن الرواية التي يتمكن كاتبها من تقديم رؤيته السياسية كقضية من قضايا الواقع السياسي من خلال معالجة فنية جيدة هي رواية سياسية " (سعيد علوش : المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ٦٠).

- الرواية السياسية عند الغرب :

- تظل الرواية السياسية وسيلة قوية للتعبير عن الايديولوجيات والنقد الاجتماعي ، وهي تلعب دوراً مهماً في تشكيل الوعي السياسي والثقافي لدى القراء ، فنجدها قد ظهرت في الغرب نتيجة الصراعات الايديولوجية ، فقد كان الصراع السياسي حاداً بين الرأسمالية والواقعية الاشتراكية ، ونظراً لأهميتها الكبيرة أدت إلى نشوء جدلاً كبيراً على الساحة الأدبية الغربية حيث يعرفها لوسيان غولدمان " الرواية الغربية هي بحث البطل الإشكالي عن القيم الأصلية في مجتمع متدهور يتسم بالنشوء والاستيلاء وضياح الإنسان وهيمنة القيم الكمية ومعايير السوق والتبادل السلعي والإنتاجي " (جميل حمداوي : الرواية السياسية والتخييل السياسي، موقع ديوان العرب) في حين عرفها الناقد ايرفنج هاو على " أنها تلك الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التكميلي ويمكن القول أنها الرواية التي نتحدث عنها لنظهر علبة أفكار سياسية أو وسط سياسي إنها رواية تظهر هذا الافتراض دون صعوبة أو تحريف " (طه وادي : دراسات في نقد الرواية ، ٢٢٥) في حين ينطلق جوزيف بلوتنر في تعريفه للرواية السياسية من رؤيته للمجتمع الغربي " إذا حصرنا الرواية السياسية في نشاط بعض مؤسسات كالكو نفرس أو البرلمان، فهذا يعني أن نزاعي بذلك الطابق العلوي للبناء السياسي ونتجاهل الطابق الرئيسي والقاعدة التي تسانده " (حمدي حسين : الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ، ١٩) نستخلص من هذا أن الرواية الأوروبية ارتبطت بالوقائع والأحداث والملابس السياسية التي مرت بها مجتمعاتها والتي شكلت فيما بعد الأساس الذي بنيت عليه الأفكار السياسية والقضايا الفكرية التي سادت أوروبا طوال مسيرتها وانعكاس ذلك على مدى وعي الاديب بما يدور حوله من أحداث سياسية وإبراز ذلك الواقع من خلال مايكتب .

- الرواية السياسية عند العرب :لقد أصبحت السياسة هي الموضوعة الأثيرة في الرواية العربية منذ عرفت الثقافة العربية هذا النوع السرد في بدايات القرن العشرين حيث كانت البلدان العربية نفسها تخوض كفاحها من أجل الاستقلال والتخلص من السيطرة الكولونيالية ، في الوقت الذي كان فكر النهضة والتنوير المستند على قيم العقل والعلم والانسانية يأخذ بالانتشار . ولعل جملة المشكلات التي رافقت مرحلتي الكولونيالية وما بعدها عربياً على صعيد السياسة والمجتمع والاقتصاد والتي جعلت النخبة المثقفة تتساق نحو الانشغال بالسياسة هي ما فرضت على المبدع الروائي التفكير بالسياسة ، فتشرب نتاجه بالبعد السياسي ؛ وبعدما صار الأدباء من ضمن تلك النخبة ، وأحياناً على رأسها ، باتت السياسة مضموناً مكرراً للنصوص الأدبية . ونحن بصدد التعريف بالرواية السياسية عند العرب نجد أن النقاد العرب قد ناقشوا هذا الموضوع ، فقد عرف حمدي حسين الرواية السياسية بأنها " الرواية التي تتعاون فيها كل الأدوات الفنية ، لمناقشة قضية سياسية محورية ، وجعل جميع الأدوات الفنية تخدم القضية ، وهذا قد يكون صحيحاً ، ولكن في الوقت ذاته يقصر الرواية السياسية على نوع واحد ، كما أنه جعل الروائي هدفاً وحيداً وهو عرض رؤيته المثارة ، دون أن يناقش

خلفية الكاتب ومدى علاقته بالقضية السياسية التي يريد أبرزها. أما أحمد محمد عطية ؛ فلم يعطي تعريفاً واضحاً للرواية السياسية في كتابه " الرواية السياسية " ، ولكن مع ذلك يمكن اختصار الموصفات الموضوعية من كتابه ، فهي عنده الرواية التي تعبر عن " القضايا والأزمات والطموحات السياسية التي تصطرع في الضمير العربي " (أحمد محمد عطية ، الرواية السياسية ، ١٢) ، وعلى المستوى الفني يرى أنها " أداة فنية للوعي يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة وتجسيد أزماتها العامة من خلال شخصيتها الروائية الفردية " (أحمد محمد عطية ، الرواية السياسية ، ١٧) ، فنجد أن هذا التعبير يدور حول موضوعات أو أفكار سياسية محددة ، وهو يرى أن القضايا السياسية العامة يندرج تحتها ما لا ينتهي من موضوعات وأفكار سياسية ، وتحديد لطبيعة الرواية السياسية الفنية من خلال التأكيد على ضرورة البدء بالتشكيل الفني وصولاً إلى الوعي السياسي أو القضايا السياسية التي يمكن استخلاصها من خلال التعامل مع التشكيل الفني . كما نجد الناقد سيد حامد النساج في تعريفه للرواية السياسية يقول بأنها : " رواية نقد ومعارضة واحتجاج ، وهي رواية ضد السلطة أياً كان شكلها ، وهي رواية تحرر شامل ، مادتها معاناة لموضوعات السلطة ، الوطن ، والانتماء السياسي " (سيد حامد النساج : بانوراما الرواية العربية الحديثة ، ٢٢٣) إن ارتباط الرواية العربية بالوقائع والأحداث والملايسات السياسية التي مرت بها الأقطار العربية تعكس إلى حد كبير انحصار المسافة إلى الأديب بين وعيه الأدبي والفني ، ووعيه الاجتماعي والسياسي ، لقد ولجت الرواية العربية تاريخها من خلال المراحل العصبية التي عاشتها شعوب المنطقة (المشرق والمغرب) فيما مضى من القرن الماضي فعاصرت مرحلة النضال وواكبت الانتقادات الفريدة التي خرجت بهذه الرقعة ذات الامتداد الطويل من طور الاستعمار إلى طور الحرية ، وذلك حسب ظروف كل قطر ومن طور الاستبداد الى طور الطبقة الفاعلة البقطة والمؤثرة في توجيه الأحداث ، ومن طور الطبقة والأمية إلى وضع الشعور بالذات والوعي بها والقدرة على التمرد والعصيان والثورة (عبد الوهاب بوشليحة : اشكالية الدين ، السياسة ، السجن ، ١٣٠) ، وقد استمر تطور الرواية العربية السياسية وارتباطها بالأحداث السياسية يتنامى بتنامى الصدمات الاجتماعية والسياسية ، وتراكم الأزمات التي مرت بها المجتمعات العربية ، حسب درجة التفاوت في المواجهة والتصدي لهذه الأزمات ، وخاصة الأزمات السياسية الحادة مثل : الحرب العربية الاسرائيلية ١٩٤٨ ، حركة الضباط في مصر ثورة يوليو ١٩٥٢ ، حرب التحرير الجزائرية ١٩٥٤-١٩٦٢ ، هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، الحرب بين العراق وايران ١٩٨٠-١٩٨٨ ، الحرب الطائفية في لبنان ١٩٨٠ ، حرب الخليج بين العراق والكويت ١٩٩١ ، تقشي ظاهره الارهاب ، الصراع الاجتماعي والانحرف السياسي ، ومناقشة الصراع الايديولوجي اديني خاصه من طرف روائيين ينتمون الى ايديولوجيات متعارضة يسار ، يمين ليبرالي ، ويمين ديني (طه وادي : الرواية السياسية ، ٩٦-٩٧) ، اما اذا حاولنا أن نتتبع المسار البياني لعلاقة الرواية العربية بالسياسة في الادب العربي الحديث ، فنجد ان قضايا السياسة بدأت تغزو الشكل الروائي بدرجة خفيفة شيئاً فشيئاً الى أن نمت وبرزت بشكل لافت في المرحلة المعاصرة وذلك بعد تجذر الوعي الايديولوجي واشاعه المفاهيم السياسية الحديثة من جراء كثرة الاحتكاك وسرعه وسائل الاتصال بين البلاد المتقدمة والنامية وفي مقدمتها الدول العربية التي اصبح شغلها الشاغل الاهتمام بقضايا السياسة املا في التحرر من ربق الاستعمار اولا وفي التقدم التكنولوجي والرقى الحضاري والتطور الاجتماعي والحكم الديمقراطي ثانياً ، ولكن الرواية السياسية في نضجها الفني الحديث برزت حديثاً في العالم العربي شأنها في ذلك شأن عدد من الانواع الأدبية (علل سنقوقة : المتخيل والسلطة ، ٥١) ، اما العلاقة بين الرواية وبين قضايا السياسة تبدأ مع ظهور الرواية الواقعية في الادب العربي الحديث مع نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ . إن الرواية العربية السياسية بهذا المعنى تكون من أكثر الأنواع الأدبية التزاماً بعكس مشكلات الواقع العربي وتصوير أزماته .

٣- الوضع المحلي والدولي في (سقوط سبرطة) الإغتراب أو الإبتعاد عن الوطن إلى أوربا وغيرها في نصف القرن الأخير ، لأسباب سياسية غالباً ، قديماً اقتصادية ، ظاهرة تهم الداخل والخارج ، تتسع تنحسر حسب توترات دولية ومحلية متزايدة في الآونة الأخيرة ، ظاهرة تشكل عاملاً حساساً قوياً مؤثراً على تطور واستقرار المجتمعات والدول هنا وهناك حياة الناس من مختلف الإنتماءات والطبقات ، هي موضوعة كتب يكتب عنها كثيرون من كتاب وروائيي العراق والعالم ، واحد من أبرزهم روائينا الرائد منذ الستينات برهان الخطيب ، لقد التفت إلى أعماله كثير من النقاد هنا في العراق ، من علي جواد الطاهر وعبد الجبار عباس وسعد البزاز وعبد الله نجم وغيرهم ، إلى العالم العربي ، غسان كنفاني ، حسن نجمي ، علاء الديب ، صالح الرزوق ، إلى كتاب أصقاع بعيدة عنا من العالم مثل بوريس جوكوف الروسي روايته (سقوط سبرطة أو حب في موسكو) المطبوعة في موسكو بعد انهيار الإتحاد السوفيتي ، تواصل شرح واستبطان ما يحصل لشخصياتها في أمة منهكة خلال مراحل متعددة ، متواصلة متفاعلة معها ، داخل عالم منقلب لا يستقر على قرار طويلاً . (سقوط سبرطة أو حب في موسكو) رواية حسب تقديم مؤلفها بالمختصر على غلافها الخلفي ، ذات شخصيات قد تبدو في الظاهر متباعدة بحكم اختلاف مهنها وانتماءاتها الاجتماعية والقومية ولكنها مرتبطة جميعاً ، كما سيكتشف القارئ عند الانتهاء من قراءة الرواية ، بخيط واحد حيك منه نسيج حافل بمفاجآت وآلام وأفراح لحياة مغترب في بلد له خصائصه ومميزاته .. وكما في الحياة

نجد أحداث الرواية تجري كنهر ، بطيئة تارة سريعة أخرى .يصل بطلها (خالد) غير الحزبي موسكو وهو في أوائل العشرين ويعيش فيها طويلاً ، في الرواية أيضاً ستالينا ابنة الشمال ، ليلي ابنة الجنوب ، عاملون في إعلام ، رجال كي جي بي ، حزيون ، قنصل ، وغيرهم .. إنها ليست قصة حب حسب إذن ولا قصة رجال سياسة ومخابرات إنما هي مزيج من كل شيء ، مثل الحياة التي تصورها نتساءل هنا ما علاقة سبرطة الماضي بروسيا ما قبل وما بعد البيريسترويكا ، بالغبية والإغتراب عموماً ، لسوف نرى روايات برهان الخطيب عموماً تبدو بعد قراءتها مثل واقعنا ، لها أكثر من قاع حقاً ، أكثر من تفسير ، لذلك ربما يعطي رواية مهمة له أكثر من عنوان ، على غلافها نجد (حب في موسكو .. أو سقوط سبرطة) تبدأ قراءة النص إذن يأخذك منذ أول سطر إلى زمنين الماضي والحاضر ، إلى مكانين ، بغداد والمغرب ، تنتهي من النص أمام خاتمة مفتوحة ، حيث العم وابن أخيه في طائرة واحدة يتحدثان عن مشكلة تضم ماضيها حاضرها ما ينتظرهما (- أجلس يا خالد فلدينا حديث طويل ..) (الرواية : ٣٧٦) المفاجأة يفترق كل منهما في طريقه الخاص ، إلى زاويته من هذا الوجود المفكك بعد تجليات الاغتراب ، الابتعاد عن الوطن ، ثم الأهل ، ثم النفس وجود مفكك في الغربة أيضاً ، مؤكدين بسلوكيهما وموقفيهما أحد ملامح عصرنا الراهن ملحم متسع متمثل في تفكك الأسرة ، ظهور محاور جديدة لائتلاف الناس تجمعاتهم ، أحزاب ، منظمات سرية ، غير ذلك. تلك النهاية المفتوحة لا تظهر فجأة ، تجدها مركبة فنياً على بداية مفتوحة أيضاً للرواية ، انفتاح يتغذى من أخيلة البطل المتدفقة نتيجة ما يصيبه من ألم ، من واقع شديد القسوة والضراوة ، من محاولة اغتيال والده في بيته : - أبونا .. تعال .. هو ممدد في الحديقة .. قتلوه ..) (الرواية : ٨) ، إلى اعدام علني جماعي في ساحة عامة في بغداد (انه يرى نفسه في سيارة الوزارة مجنحة فوق غيرة الطريق ، وينعطف السائق بها فتدور في ساحة الباب الشرقي حول جثث معدومين بينها جثة ذياب القصير ..) (الرواية : ٥) ، مضايقات له شخصياً ، أخيلة متدفقة نتيجة جلوسه الطويل في الطائرة اثناء رحلته مع مجموعة مهندسين وعمال مبعوثين إلى موسكو في دورة تدريب ميكانيك عند منعطف تاريخي حاد يؤثر على الجميع لا البطل وحده كما يتضح من تعليقات البعض لاحقاً ، هكذا تتوزع أخيلته في مطاوي التاريخ والمستقبل الخاص والعام ، إلى ما يصيبه نهاية إيفاده ، ما بعده ، من ضربة غادرة ، مسفراً مطروداً من جهاز إداري لا يسمع ولا يتكلم عند الحاجة (ما هذا الكلام الذي يقوله صاحبك عن سفر واستقالة ولي عشرة أعوام في الدار؟! فقال فاديم مغموماً: - كان عليك انتظاره ، والآن السفر أو الاستقالة. ونير خالد ممتعضاً: - هذا ارهاب ، ماذا فعلت بريك لأستحق هذا منكم ؟) (الرواية : ٣٤١) في خاتمة رحلة تمتد بعد نكوصه الاول عن العودة إلى بلده ، حوالي عقدين من الزمان ، إلى جهة لا يعلمها سوى على متن الطائرة ، إلى الشام حيث يلتقي عمه الحزبي المتمرس (صلاح) ليس مصادفة أيضاً بل بتدبير ماهر من جهة مسؤولة كما يتضح .ولإيضاح اقتران الحدث المحلي بالعالمي في مجتمعه ، في رواية من رواياته ، وتأثيره على توسيع رقعة وعمق الرواية ، يرينا تناول (سقوط سبرطة) إن الواقع السياسي متغلغل جداً في بناء الشخصيات ، إفرازاتها ، مصائرهما ، مع قدرة المنفي والمغترب حين يتوسع إدراكه من ظروفه الجديدة على التفاعل الايجابي في محيطه الغريب رغم سلبيات ، رغم قسوة المنفى ، مع وجود ايجابيات طبعاً هناك .يدون مؤلف (سقوط سبرطة) تجربة عمر غير خاصة به ، عامة ، خلال عقدين من الزمان في حاضرة سبرطة حديثة أي موسكو ، تجربة غربة خاضها ويخوضها ملايين الناس ، ليكشف لنا ماذا وراء وأمام هذه التجربة بعدما بنت وخربت في حياة أولئك الملايين الذين خاضوا تلك التجربة ، لتساهم تجربتهم في نهوض أوطان عند هضمها فكراً ، عند إدراك الناس حاضرمهم ، كذلك تخريب أوطان حين يتغافلون عن حاضرمهم بفعل إعلام مزيف يحرف أنظارهم بعيداً إلى ملاء ومشاغل ثانوية . إنما خلاف ذلك النوع من الإعلام المزوق يكشف المؤلف لنا لا سلبيات فقط تلك التجربة بل وأيضاً ايجابيات فيها تساعد في كشف بعض عيوب بلده فتساهم في تجنب و عدم تكرار خيبات أوطان تنهض ثم تعود تكبو كما يفعل (فارس) إذ يعيقه جواده أي أحزابه عن التقدم إلى أمام نتيجة عدم دراسة الواقع جيداً ، عدم إحترام تجربة أبنائه المخلصين للبلد ، في نكوص متأت لا فقط من تدخلات أجنبي يريد الخير لنفسه قبل غيره انتكاس (فارس) أو بطل (سقوط سبرطة) متمثلاً بنبذ المنفى للمنفي حين لا يتأقلم معه ، حين يطلب المنفى من المنفى الاندماج معه على حساب وطنه ، ويرفض المنفى لتمسكه بقيم عالية ، يكشف لا فقط تأثير الوطن عميقاً في بناء تلك الشخصية ايجابياً بل وأيضاً يدين المنفى في سعيه الهيمنة عليه ، الامتداد معه إلى الوطن وتوظيفه هنا هناك لمصلحته هو لا مصلحة الوطن . نعم مغادرة البطل الوطن نتيجة انفراد جهة فيه بالسلطة ، إنما يتبدى المنفى أيضاً هناك عن أفق مكفهر ليس للإنقاذ ، بل ولسحق المنفي تحت ضراوته الناعمة وضرواته ، فتتضح صورة إنسان معاصر يقع بين مطرقة الوطن الذي يتعرض عموماً لضغوط وبين سندان الخارج أي الغربة وتعتيداتها وعلاقتها بالوضع الدولي .إن إدراك البطل المتجه نحو ذاته ونحو العالم في ذات الوقت يجعل مسار الحدث يتخذ عنده ، عند القارئ المتمعن معنيين غالباً ، فالمنفى أو المغترب يصير نافذة تطل على العالم برمته ، وأيضاً سجناً في نفس الوقت لا يستوعب كل أحلامه وتطلعاته المنضبطة بإدراك متحسب من دراسته الهندسة ، والسجن هذا يتجلى في صورتين أيضاً ، ذاتية تتمثل في إحباط حبه الاول نتيجة التقيد بقيم بالية ، ثم الثاني نتيجة ظروف خارجية أيضاً ، ظروف سجن جوار صورة أتعس أخرى للواقع ، صورة سجن حقيقي يرمى إليه من غير تخمة أو ذنب قبيل

خاتمة الرواية ، فتفسير منه مباشرة إلى جهة غير معلومة على أن يستلم جواز سفره بعد هبوط الطائرة حتى أن طيارها ينصحه أن لا يتعب نفسه بتفكير في سبب الإبعاد لأنه لن يعرف ذلك مطلقاً ، هكذا تجري أمور غريبة أيضاً في الغربية موجز مشكلة (خالد) الجديدة في غربته تبدأ حين يطلب منه كتابة رسالة إلى فرع الحزب الحاكم هناك ، بعد كتابتها يقال له : أنت لم تطلب الالتحاق بالحزب ، وهذا يعرضك إلى العودة من حيث جئت .. ثم يؤجل القرار أو يتم تجاوز الإشكال واعتبار (خالد) طالب لجوء لتنتقل المشكلة من خاصة إلى عامة ؛ إذ بالموافقة على إبقائه في بلد اللجوء تتحول المشكلة من صيغتها في مواجهة حكم حزب واحد إلى صيغة حكم مزدوج الهوية . ومقارنة ببلدان ديمقراطية تتعاقب أحزاب مختلفة على حكمها ، بينما طبيعة الحكم تبقى فيها ذاتها تقريباً ، شكوى مواطنين تتكرر تجاوزات على القانون تتكرر ، مظالم دائمة في الخفاء ، فإن حكم الحزب الواحد يغير أفراده وجوهه لكن الروح العامة تبقى أيضاً ذاتها ، الرغبة في الاستئثار بالحكم ، ضم أكبر عدد من المؤيدين إلى طاقمه ذلك ما يؤدي في النهاية إلى تفسير البطل من بلد اللجوء بعد عقدين تقريباً فيه دارساً في معهد متميز ، ثم مشتغلاً في إحدى مؤسساته الإعلامية الكبيرة المعروفة تسفيراً قاسياً يفارق فيه طفله الصغير إلى مجهول (ولكن لي طفلاً هنا في الأقل أريد أن أراه !) (الرواية : ٣٦٩) . من ذلك التفسير ما نسمع عنه حتى اليوم من دول أخرى ، تبدو متقدمة ومع سقوط أو إسقاط نظام الحزب الواحد هناك لا تنتهي المشاكل فيه بل تتفاقم في مناطق عديدة هنا هناك في العالم ؛ فالصراع دولي ومعه محلي ، يشمل ناس متعلمين ومتقنين منهم بطلنا في (سقوط سبرطة) هكذا ينتقل الصراع من بين أنظمة متعددة الأحزاب مقابل نظام حزب واحد ، إلى صراع أنظمة عدة أحزاب في مقابل بعضها البعض يسعى كل منها إلى صياغة العالم حسب تصوره حسب نظام واحد للعالم ؛ فالمواجهة الحالية بين روسيا وأتباعها من جهة والغرب وأتباعه من جهة أخرى على أمل أن يصل العالم عبر حروب أو محادثات في النهاية إلى ضرورة التعايش الذي فشل سابقاً بين الاتحاد السوفيتي والغرب . وإذا كان الخطيب في روايته (سقوط سبرطة أو حب في موسكو) يسرد عن إحباط الغربية على المغترب ، بل على الفرد عموماً في بلد يحكمه حزب واحد ، فيه أيضاً الشعب شبه مقيد ، بمعنى خياراته مختصرة عن نتيجة طبيعية لنظام الخيار الواحد حزب واحد ؛ إذ لا كل الناس يقنعهم خيار واحد في وطن له عدة خيارات هكذا ترسم الحياة عادة الطبيعة المتنوعة للبشر ، خاصة في العراق الذي يسبق العالم في تنوع أعراقه وملله منذ قديم الزمان أما من ناحية الشكل فيلاحظ الباحث دقة عالية في صياغة الحدث الروائي عند الخطيب ، فإذا كانت (سقوط سبرطة أو حب في موسكو) تبدأ بصعود الطائرة إلى المغترب وتنتهي بعد عقدين تقريباً بصعود طائرة أخرى إلى مغترب آخر ، هذا على الساحة الدولية ، أما محلياً شخصياً فإن الرواية تبدأ بسعي سالم لمعرفة أين يختفي أخيه وتنتهي الرواية باختفاء أخيه تماماً واستلام رسالة منه بالبريد من مكان مجهول لا تتبئه شيئاً عن مصيره . هنا ليتساءل القارئ عن مصدر هذه الدقة وتقاسيلها الوفرة هل هو عن عبقرية كاتب عراقي يتمسك فطرياً بتاريخه الحاضر والماضي ، أم وراء ذلك مراجعة وثائق قديمة ودراسات محترفة أم كلاهما ، زد على ذلك العيش مع عائلة مهمة بالوضع الخاص والعام ذلك ربما وجهان لعملة واحدة ، أي أن اهتمام الكاتب بالنشاط السياسي في بلده مبكراً يوازي اهتمام أبيه ، عمه الكاتب عبد الله الخطيب ، عمته الرائد في النشاط النسوي صبيحة الخطيب كذلك والدته ، يعقب كل ذلك حال آخر له ، إلتحاقه بحزب جماهيري أما الأسلوب فالملاحظ عليه أيضاً دقة عالية ، إحياء متعدد ، اختصار مبرر بأن الكتابة لا من أجل إحياء الماضي بل من أجل خدمة الحاضر في (سقوط سبرطة) يكتب الخطيب في أول سطورها : (فإذا الأرض الغناء كما في مخيلة مسافر تبدو تحت شبه جرداء وبلون النحاس بينما كادت المدينة الكبيرة تغيب تحت طبقات غبار وسموم لما يزلان يتكاثران ويتبددان حوله مثل مثل بقايا كابوس تمنع يقظة منشودة وبدا دجلة الخالد أريد متلوياً متورماً أشبه بأفعوان ضخم على وشك عربة) (الرواية : ٥) أي ما معناه أن تجربة الغربية التي يخوضها سوف تكشف له العالم على حقيقته ، وجه ظاهر مزين وآخر خفي يضم تهديدات وانحذارات تبين أن ما يحصل في الوطن يحصل خارجه أيضاً ، تغيرات مستمرة تخدم أهدافاً مضمرة لمحرك تاريخ واع نازع إلى السيطرة على جغرافيته ، لا يولي استقرار بلد أهمية ، بل العكس يربكه بقصد ضمه إلى امبراطوريته الخفية تجربة الغربية في هذه الرواية تكشف أن تفكيك الوطن ، الأسرة ، بانقلابات وتغيرات ثقافية وتهجير متقفيه يتم لصالح أجنبي ، إنما بعد خوض الاغتراب تنتهي التجربة لا بذوبان أو استقرار المغترب في الوسط الجديد بل في ازدياد تعلقه بوطنه ، رغبته في العودة إليه في دفع نحو تحويل التفكيك إلى نقيضه إلى مواصلة بنائه . الموضوع الحارقة في الرواية ثقة (خالد) وحرصه على مواصلة العيش كإنسان حر يترك بلاده إلى الغربية من أجل مستقبل أفضل ، خالد موظف حكومي متعلم عالياً يبتعد عن مبعوثين كانوا موفدين إلى موسكو مأخوذاً بحلم في بلاد تستوعب حلمه في فردوس مفقود ، يجده بين ناس وبيوت وشوارع وحدائق ومعامل بلد الإيفاد .. كل شيء جديد طيب ليس كما في بلده ، يقع في حب المترجمة (ستالينا) العاملة في خدمة الموفدين التي علمها ودربها نظامها إلى هذا العمل الحساس المهم ضمن الجهاز الإداري البيروقراطي . تستجيب هي للحب مشاركة في صراع أخلاقي سياسي إلا أن النظام في ذلك البلد يفرض رقابة شديدة على الحياة العامة والخاصة ، مما يؤثر على حرية التعبير وعلاقات الشخصيات خاصة القادمين من الخارج حيث تم رصد تحركات الشخصيات ، مما يجعل الحب نفسه متأثراً بالمناخ السياسي (تحدثنا من

قبل في موضوع الزواج والسفارة تمنعه (الرواية : ٢٣) . هناك امرأة أخرى (ليلي) يستغلها جهاز الاستخبارات (كي جي بي) في مراقبة الموفدين السياسيين والمدنيين إلى البلاد ، تستلم مهمة سرية منهم ، وضع عينها على (خالد) ، فتقع في حبه بل وحتى تتجسّس بطريقة متعرجة في الزواج منه لتسيطر عليه على جزء من حياته عموماً في المستقبل وحين لجأ بطل الرواية إلى الإقتران بالزواج من (ليلي) علّها تخفف من عناء الغربة والاعتراق ، لكنه جوبه بالعكس حيث المرارة النفسية والروحانية التي عاشها مع (ليلي) الأمر الذي جعله يقف عقبة في طريقه ، ليهجر راحة البال ، وتحل محلها المعاناة والأزمات ، ما جعله يشعر بخيبة أمل نتيجة هذا الزواج الذي أدى به إلى اتخاذ قرار عدم البقاء في الشقة التي تجمعهما مع ابنهما (سالم) : (لم يعد البقاء في الشقة ممكناً ، لم يعد العمل ولا اللعب مع الطفل ولا سماع موسيقى يستوعبه فيها ، عليه أن يهوى رأسه قليلاً بهواء أنقى إذا رغب أن لا ينفجر رأسه بما يردد فيه) (الرواية : ١٧٩) ، ولكن رغم كل التنازلات التي قدمها (خالد) لصالح الطفل الذي يراه يستحق الحياة في جو العائلة والانتماء إلى الحب والترعرع في أحضان الأب (كيف ينمو الطفل في جو كهذا ، كيف يتعرّج ابن دون أبيه ؟) (الرواية : ١٧٠) كل هذه التساؤلات التي تدور في عقله حول حياة الطفل كلفته الكثير حتى وصل الأمر بها إلى الإبتزاز ضده وإيقاعه في ورطات حتى يطرد من العمل ورفض تجديد الإقامة والسكن (اسمع يا خالد هذا حديث صداقي بيننا ، لقد كتبت ليلي شكوى ضدك وذكرت اسمي وفيها حقائب وأكاذيب) (الرواية : ٢٠٨) . نلاحظ من خلال هاتين المراتين اللتين ترمزان إلى الشمال والجنوب ، تنساب الرواية بطريقة خارقة تكشف نشاطات سرية للحزب المنخور في الفساد الإداري والرشوة (رشوة .. رشوة .. رشوة .. رشوة) (الرواية : ٢٥٨) كررها أكثر من مرة تأكيداً منه على فساد النظام الإداري في موسكو فضلاً عن الفساد الروحي والأخلاقي حتى تجاه أفراد دارسين .. كل شيء يجب أن يمر وفق منهجهم ، هذا الكتاب يقص عن الحياة في الاتحاد السوفيتي قبل وبعد البريسترويكا من خلال هذا الضيف الدارس العامل الذي كان مأخوذاً بتصورات خاصة عن بلد حتى تتكون خبرة له ويتضح له أن ليس كل ما يلمع أمامه ذهباً .. فتأخذ خيبة أمله يد القارئ لتكشف أشياء لا تصدق لقارئ لم يستطع معرفتها من خلال وسائل الإعلام يقص الكتاب أشياء أكثر ، عما لم يستطع الإعلام كشفه ، أو حتى الكلام عنه أحياناً .. لقد سقط الستار الآن .. ذلك ما كشفه المؤلف من خلال رصد تجربة بطله عميقاً في هذه الرواية الخلابه . هناك كتاب آخرون تناولوا هذه الرواية وغيرها للخطيب بالعرض والتحليل نحجم عن تناولهم هنا لضيق المكان على أمل العودة إليهم في بحث آخر عما كتبه ويكتبه أدباء وكتاب في الخارج عن تلك الروايات عموماً ودورها في رفع الثقافة العراقية عالياً.. خاصة خارج العراق.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- طه وادي : الرواية السياسية ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، القاهرة ، ٢٠٠٣
- ٢- سعيد علوش : المصطلحات الأدبية المعاصرة ، المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ .
- ٣- طه وادي : دراسات في نقد الرواية ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٤ .
- ٤- حمدي حسين : الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر ، ١٩٦٥-١٩٧٥ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- ٥- أحمد محمد عطية : الرواية السياسية : دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- ٦- سيد حامد النساج : بانوراما الرواية العربية الحديثة ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- ٧- عبد الوهاب بوشليحة : اشكالية الدين ، السياسة ، السجن ، اطروحة دكتوراه
- ٨- الرواية : سقوط سبرطة أو حب في موسكو للروائي برهان الخطيب ، منشورات أوراسيا ستوكهولم - السويد ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ .

ب الرسائل والإطاريح

- ١- عبد الوهابي علال سنقوسة : المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية للسلطة السياسية ، ج- المواقع الإلكترونية

www.diwanaalarab.com موقع ديوان العرب ، شبكة المعلومات الدولية ، ٢٠٠٧ / ، جميل حمداوي : الرواية السياسية والتخيل السياسي - <https://>

A. List of Sources and References

١. Taha Wadi: The Political Novel, Egyptian International Publishing Company – Longman, Cairo, 2003.
٢. Said Alloush: Contemporary Literary Terminology, University Library, Casablanca, First Edition, 1984.
٣. Jamil Hamdawi: The Political Novel and Political Imagination.
٤. Taha Wadi: Studies in the Criticism of the Novel, Dar Al-Maaref, Cairo, Third Edition, 1994.
٥. Hamdi Hussein: The Political Vision in Realist Novels in Egypt (1965–1975), Al-Adab Library, Cairo, 1993.

.^٦Ahmed Mohamed Atiya: The Political Novel: A Critical Study of the Arabic Political Novel, Al-Adab Library, Cairo, 1993.

.^٧Sayed Hamed Al-Nassaj: Panorama of the Modern Arabic Novel, Gharib Library, Cairo, 1985.

.^٨Abdelwahab Bouchlekha: The Problematic Relationship Between Religion, Politics, and Prison, PhD Dissertation.

.^٩The Novel: The Fall of Sparta or Love in Moscow by the novelist Burhan Al-Khatib.

B. Theses and Dissertations

.^١Allal Sanqousa: Imagination and Authority in the Relationship Between the Algerian Novel and Political Power.

C. Websites.

Jamil Hamdawi: The Political Novel and Political Imagination, Diwan Al-Arab website, Internet Network, 2007 / www.diwanalarab.com